خيانة الأمانة في عهد ملوك الطوائف ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م ـ ٤٧٩هـ /١٠٨٦م

شعلان عبدالرحمن السيد عبد الرحمن (*)

المبحث الأول
بداية المعترك الخطير

لما أعلن الوزير جهور بن محمد بن جهور (١)سقوط الخلافة الأموية في الأندلس, وثب كل أمير علي ما يسمي بدويلة يحكمها منفرداً, ولاشك أن لهذا الأمر خطورة كبيرة, وهي التي أسهمت بدرجة كبيرة في نهاية الأمر إلي ضعف الأندلس, وطمع الأعداء فيها, بسبب ذلك التشرذم الذي أحدثه ملوك الطوائف بعد انقضاضهم علي هذه الدويلات, ناسين أو متناسيين عظم الأمانة الملقاة علي عاتقهم.

وهذا ما يوضحه ابن الخطيب في مستهل حديثه عن دول الطوائف:'' وذهب أهل الأندلس من الانشقاق, والآنشعاب, والافتراق إلي حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار مع امتيازها بالمحل القريب, والخطة المجاورة لعباد الصليب, ليس لأحدة في الخلافة إرث ولا نصيب, وانتحلوا الألقاب, وهم ما بين مجبوب, وبربري مجلوب, ومجند غير محبوب''(٢).

سنة٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م توفي جهور بن محمد وتولي بعده ولده أبو الوليد محمد بن جهور ولكن أبا الوليد ما لبث أن حاد عن سياسة أبيه، فقدّم على الناس ولده عبد الملك، وأخذ عليهم العهد له، فأساء عبد الملك السيرة، واستبد بالسلطة, وتسمي بذي السيادتين المنصور بالله, الظافر بفضل الله(٣).

وكان ولداه ـ أي ولدي عبد الملك ـ يتنافسان علي الرئاسة والزعامة فكان لعبد الملك أمر الجند, ولعبد الرحمن أمر الجباية والإشراف علي الخدمة, وسرعان ما

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [خيانة الأمانة في المجتمع الأندلسي من بداية الإمارة الأموية إلي نهاية عصر ملوك الطوائف (١٣٨ـ ٤٧٩هـ/ ٧٥٦ـ ١٠٨٦م) دراسة تاريخية] تحت إشراف كلٍ من: أ.د. جمال أحمد طه – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.م.د. صفاء شكري نظير – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) كان من وزراء الدولة العامرية قديم الرئاسة موصوفا بالدهاء والسياسة ولم يغير أمرا توجبه المملكة حتى إنه بقي يؤذن على باب مسجده ولم يتحول عن داره وأحسن ترتيب الجند فتمشت دولته وكان حرما يلجأ إليه كل خائف ومخلوع عن ملكه إلى أن مات في سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م:(ابن سعيد المغربي: المغرب في حلي المغرب, ج١, ٥٦, برقم٧).

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام, ص١٤٤.

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق, ص١٤٨ .

أدي التنافس بينهما إلي تفكير كل منهما في خيانة أخيه, وكان البادر هو عبد الملك إذ أقدم علي ابتزاز أخيه, بل وسجنه وحدد أقامته, علي الرغم من أن عبد الرحمن كان هو الأكبر سناً[١].

فتنه بن السقاء: فوض عبد الملك النظر في الأمور إلى وزير أبيه إبراهيم بن يحيى المعروف بابن السقاء فضبطها وأصلحها، وعمل على تهدئة الأحوال، وتوطيد الأمن والنظام، واستمر ابن السقاء في النظر مدة طويلة, وكان المعتضد ابن عباد[٢]أمير إشبيلية يشعر بأن استمرار هذا الوزير القوي على هذا النحو في رياسة حكومة قرطبة، يحول دون تحقيق مشاريعه في الاستيلاء عليها، فسعى لدي عبد الملك في حق ابن السقاء، وحذره من أطماعه واستئثاره بالسلطة وأغراه بقتله، وكان عبد الملك سيئ الرأي والتقدير، فاستمع لتحريض المعتضد ابن عباد، وقتل وزيره في كمين دبره له[٣]

كان من الأمانة هنا أن يتريث عبد الملك بن جهور, ولا يخون وزيره, ويغتاله لمجرد وشاية صادرة من حاكم مجاور, ولم ينتبه عبد الملك إلي الخيانة التي يرمي إليها بن عباد, والمتمثلة في محاولة التفكير في الاستيلاء علي قرطبة, والعجب هنا!! كيف لم يتحقق عبد الملك من الأمر ويناقشه حتي ولو في قرارة نفسه؟, ولكنه كان كما قال صاحب الرواية سيء الرأي والتقدير, وكيف لم يفطن إلي خدعة بن عباد؟.

وربما كان هذا انتقام إلهي من جانب المولي عز وجل, لأن الوزير بن السقاء لم يراع الأمانة الملقاة علي عاتقه, وهوه ما أروده بن بسام صراحة:'' ولم يستحي من الله ولا من عباده في خون أمانته, ولا تستر عن الإعلان بغلول وديعته, ثم استمر في حديثه: ''واتخذ لنفسه جند سوء, مال به طبعه الرذل إلى الاستظهار بهم على أقادم الجند بقرطبة ممن مرن على الاستقامة، فتخير هو من أراذل

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام, ص١٤٩.

(٢) ـ هو عباد بن محمد بن إسماعيل، ابن عباد اللخمي، أبو عمرو، الملقب بالمعتضد بالله: صاحب إشبيلية، في عهد ملوك الطوائف. كان في أيام أبيه يقود جيشه لقتال بني الأفطس وغيرهم. وولي الأمر بعد وفاته (سنة ٤٣٣ هـ/١٠٤٢م فتلقب - كأبيه – بالحاجب وأبقى الخطبة في إشبيلية وأكثر الكور باسم (المؤيد بالله) هشام بن الحكم الأموي, وطمح إلى الاستيلاء على جزيرة الأندلس، فدان له أكثر ملوكها, وكان يطرب للشعر، ويقوله، وقد جمع له (ديوان) في نحو ستين ورقة. وأخباره كثيرة. توفي بإشبيليّة، بالذبحة الصدرية في٤٦١هـ/١٠٦٩م: الزركلي: الأعلام, ج٣, ص٢٥٩.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام, ص١٤٩.

الطبقات ومصاص شرار الناس، وانتقاهم من أصناف الدعرة والدائرة والأساود والرقاصة، نخل من كل طبقةٍ مرفوضة ما بعث على الناس منهم ذئاباً عادية، وأعدهم ليوم الكريهة فلم يغنوا عنهم شيئاً لما حاق به قضاؤه،،[١].

وليس هذا فحسب بل تعداه الي الأخلاق, فقد نسب إلي ابن السقاء اتخاذه داراً غير داره التي يسكنها, وجعلها دار راحته بعد قضائه بين الناس, ولا يدخلها سواي خواصه من غلمانه والسفلة الماضي ذكرهم, حتي شاع بين الناس لقب لهذه الدار تسمي ب ـ دار اللذة ـ وكان الذي فضحه في هذا الأمر ولم يكشفه ولا نبش صداه إلا تلك الطائفة من بطانته التي اختارهم لنفسه من أرذال الطبقات، وذلك معهود في أمثالهم, فالصنيعة لا تزكو إلا عند ذي حسب ودين[٢].

سقوط آل جهور بالخيانة:

كانت أحوال قرطبة في عهد عبد الملك بن جهور علي ما يرام, ولكن صداقته لابن عباد أغضبت يحي بن ذي النون[٣]والذي بدوره حاصر قرطبة سنة٤٦٢/١٠٧٠م, فاستغاث عبدالملك بالمعتمد بن عباد, فأرسل إليه كتيبة مكونة من ٣٠٠فارس, وهنا تبرز خيانة بن عباد لصديقه الذي استغاث به, إذ عقد العزم هو وبن ذي النون علي الإطاحة بالجهوريين من قرطبة علي أن يتولاها بن عباد, وبالفعل خان المتعمد بن عباد صديقه, وقام بإخراج عبد الملك من قرطبة بمعاونة الجنود النصاري الإشبيليين هو وحاشيته إلي جزيرة ــ شلطيش[٤]ومات بها بعد أربعين يوماً, متذكراً ظلمه للناس رافعاً يديه: اللهم كما أجبت الدعاء فينا, فأجبه لنا[٥].

(١) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة, ج٧, ص٢٤١.
(٢) ابن بسام: المصدر السابق , ج٧, ص٢٤٣.
(٣) هو يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن ابن عامر بن ذي النون الهواري الأندلسي، أبو زكريا المأمون وكان ملكه بطليطلة, من ملوك الطوائف بالأندلس. كان صاحب طليطلة Tolede وليها بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٥ هـ/١٠٤٤م ونشأ خلاف بينه وبين ابن هود سليمان بن محمد ومات بطليطلة سنة٤٦٠هـ/١٠٦٨م , الزركلي: الأعلام, ج٨, ص١٣٨.
(٤) مدينة بالأندلس، بقرب مدينة لبلة، وهي جزيرة، لا سور لها ولا حظيرة، إنما هي بنيان متصل بعضه ببعض، وبها دار صناعة الحديد الذي يعجز عن صنعه أهل البلاد لجفائه، وهي صنعة المراسي التي ترسو بها السفن، وقد تغلب عليها المجوس مرات، ويحيط بجزيرة شلطيش البحر من كل ناحية، إلا مقدار نصف رمية حجرٍ هناك وكان بهذه الجزيرة بيع للأول، واتخذت في الفتنة مدينةً، ولها أرباض واسعة: الحميري: صفة جزيرة الأندلس, ص١١١ .
(٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام, ص١٥١.

خيانات المعتضد العبادي:

بعد قيام دول الطوائف استبد المعتضد العبادي ٤٠٤ ـ ٤٦١ هـ/ ١٠١٣ ـ ١٠٦٩م بإشبيلية ولم يردعه وازع, ولا ضمير عن الخيانة, وذلك أنه لم يراعي الأمانة تجاه من حوله خاصةً الوزراء واحداً واحداً، فمنهم من قتله صبراً، ومنهم من نفاه عن البلاد، ومنهم من أماته خمولاً وفقراً، إلى أن تم له ما أراده من الاستبداد بالأمر، وتلقب بـ المعتضد بالله[١].

خيانة بن المعتضد له:

كان للمعتضد العبادي ابن يسمي اسماعيل, وحاول اسماعيل الغدر بوالده, فأخذه أبوه وحاول أن يثنيه عن عزمه, ولكن تبين له أن اسماعيل ليس لديه إلا الغدر به والخيانة له [٢] فقد كان اسماعيل يتمني وفاة والده المعتضد حتي يرث الحكم من بعده, وكان ذلك يصل إلي اسماع المعتضد فيتغاضى عنه, إلى أن أدى ذلك التغافل إلى أن سكر إسماعيل ليلة وتسور سور القصر الذي فيه أبوه، في عبدان ومعه بعض السفلة، وأراد الفتك بأبيه؛ فانتبه البوابون والحرس, فقبض المعتضد على ابنه إسماعيل هذا واستصفى أمواله وضرب عنقه؛ فلم يبق أحد من خاصته إلا هابه من حينئذ[٣] .

ولا شك أن هذه محاولة خيانة واضحة من جانب إسماعيل تجاه والده, كما أن مسألة تعجيل وفاة الأب ـ يعني قتله حتي يتمكن الابن من إرثه ـ لها جرمين؛ جرم القتل وجرم العقوق, ونحن نعلم أن الإسلام حرم العقوق في آيات صريحة مثل قوله تعالي:'' قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاّ بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ''[٤] .

(١) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب, ص٧٣.
(٢) ابن عذاري: البيان المغرب, ج٣, ص٢٤٤.
(٣) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب, ص٧٤.
(٤) سورة الانعام: آية رقم١٥١.

ظاهرة تولية غير المسلمين:

كان للمعتضد بن عباد وزير نصراني يسمي ب ـ سنندو دافيدس ـ من النصارى المستعربين, ولما تولى المعتضد الإمارة، قدر مواهبه، ومعرفته بشئون الجزيرة، فنظمه بين وزرائه أو معاونيه، فنال ثقته، وتمكن نفوذه، وعلت مكانته في البلاط العبادي بسرعة, ولكنه لم يلبث أن تعرض لخصومة بعض رجال البلاط وسعايتهم، فخشى العاقبة، وفر من إشبيلية إلى الشمال, ولجأ إلى بلاط فرناندو ملك قشتالة، فرحب به، ونظمه بين مستشاريه، وكان له فيما بعد أكبر أثر في تكييف سياسته نحو ملوك الطوائف(١).

ولسنا ضد تولية غير المسلمين مناصب إدارية, خاصة إذا كانت لديه مواهب, ولكن في مثل هذه الأوضاع يجب أن يتحرى عن هذه المسألة جيداً, وأيضاً ليس هذا من قبيل التسامح مع غير المسلمين خاصة في زمان انتشرت فيه الخيانة مثل زمان ملوك الطوائف, كما أن ملوك النصاري يتحينون الفرص لغزو المسلمين, وبالطبع هذا نصراني يميل إلي أهل ملته في الغالب, ولا ندري هنا ولائه لمن! لبني عباد, أم لأهل ملته؟ وعلي كلٍ فإن بن بسام يوضح نوايا هذا الخبيث مؤكداً: ’’ كانت له أدوار متعددة في أحداث ذلك العصر، وقد ولاه أذفونش على مدينة طليطلة عندما انتزعها من ابن ذي النون‘‘(٢).

الاستهانة بالعلماء وقتلهم أيام المعتضد:

مقتل الهوزني(٣):

كان عمر بن الحسن الهوزني صديقاً حميماً للمعتضد بن عباد قبل أن تؤول إليه الخلافة, ولما ثبتت قدم المعتضد بالرياسة, توجس الهوزني الخيانة من صديقه القديم, فسافر إلي أشبه ما يسمي برحلة علمية في بلاد الحجاز والشام ومصر,

(١) أنظر: ابن بسام: الذخيرة, ج٥, ص٥٣١, وعنان: دولة الإسلام في الأندلس, ج٢, ص٥٨.
(٢) ابن بسام: الذخيرة, ج٥, ص٥٣١.
(٣) هو ـعمر بن الحسن بن عمر بن عبد الرحمن بن عمر الهوزني: من أهل إشبيلية يكنى: أبا حفص, ورحل إلى المشرق سنة أربع وأربعين وأربع مئة وحج وأخذ عن أبي محمد ابن الوليد وغيره, كان متفننا في العلوم، قد أخذ من كل فن منها بحظ وافر مع ثقوب فهمه، وصحة ضبطه, وتوفي في عام ٤٦٠هـ /١٠٦٨م :(ابن بشكوال: تاريخ أئمة الأندلس, ص٣٨١).

روي خلالها كتاب الترمذي في الحديث, ولم فلما اقتحم الروم مدينة بربشتر, حث المعتمد علي نصرتها,, كتب إليه أبيات:

أعباد جل الرزء والقوم هجع ... على حالة من مثلها يتوقع
فلق كتابي من فراغك ساعةً ... وإن طال فالموصوف للطول موضع
إذا لم أبث الداء رب دوائه ... أضعت وأهل للملام المضيع[١].

ولكنه بدلاً من ذلك استدعاه إلي قصره, وقتله غدراً وخيانة بيده, وأزاحه في حفرة بعدما لفظ أنفاسه, وذلك دون صلاة جنازة, أو تغسيل, أو حتي تكفينه [٢]وجدير بالذكر أنه لم يذهب دمه هدراً، فإن ابناً له يعرف بأبي القاسم انتقم له بعد ذلك، بأن حرض يوسف بن تاشفين على المعتمد ابن المعتضد، فكان سببا لزوال ملكه[٣].

فهنا ارتكب المعتضد خيانتين للأمانة, واحدة بذنب كبير, وهو قتل العلماء, وأخري لا تقل عنها وهو عدم تغسيل الميت , وتكفينه, والصلاة عليه وهو أمر لا خلاف علي وجوبه.

خيانة كادت تودي بحياة المعتضد:

سكر المعتضد في أحد الأيام, وأخذ يمشي حتي قارب قرمونة, وكانت مدينة قرمونة تحت حكم اسحاق بن سليمان البزاليّ, وكانت بينهما حروب, وكان اسحاق البزالي هذا يشرب الخمر هو وجماعة من ندمائه, فأخبره الحرس بقدوم المعتضد علي بابه يستأذن, فانتابهم العجب!! ولما فاق المعتضد من سكره, ندم علي ما فعل, وتظاهر بالنوم أمامهم, فحدثتهم أنفسهم باغتياله, وظنوا أنه قد نام، فقال بعضهم: هَذَا كبَشٌ سمين، واللهِ لو أنفقتم مُلْك الأندلس عليه ما قدرتُم، فإذا قتل لم تبق شوكة تَشُوككم, لكن بن أبي قرة نصحهم بعدم فعل ذلك, حتي لا تلحقهم معرة قتل ضيوفهم, وأظهر المعتضد لهم الود بعدما سمع, فاستدرجهم في قصرة لوليمة,

(١) ابن بسام : الذخيرة, ج٣, ص٨٣.
(٢) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلي المغرب, ج١, ص٢٣٩, برقم١٥٨, وابن بشكوال: تاريخ أئمة الأندلس, ص٣٨١.
(٣) الزركلي: الأعلام, ج٥, ص٤٤.

وأدخلهم الحمام جميعاً ما عدا معاذ, وقام بسد الحمام عليهم ببناء بابه فماتوا جميعاً[١].

إحراق كتب بن حزم:

لقد أقدم المعتضد العبادي علي عمل يعد جرماً في حق الإنسانية لا في حق شخص بقيمة بن حزم وذلك حينما أقدم علي إحراق كتبه بمدينة إشبيلية, مما دفع بن حزم أن يقول:

دعوني من إحراق رق وكاغد ... وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس، بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل إن أنزل ويدفن في قبري[٢].

لقد كان لتفوق بن حزم علي أقرانه موضع غيرة وحقد منهم حتي التجأوا إلي الدسيسة بينه وبين حكام الأندلس, وربما كان المعتضد علي رأس ذلة العلماء هذه حتي قام بإحراق بعض كتبه, وذلك بعد أن أثبت جدارته في علم المنطق, فتمالئوا على بغضه ورد أقواله فأجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه فأقصته الملوك عن قربهم وبلادهم إلى أن انتهوا به وهو عاكف علي مواصلة العلم, في أحضان بادية لبلة, وهو في ذلك غير مرتدع ولا راجع عن مواصلة العلم والدرس إلي أن لقي ربه عز وجل[٣].

ونري هنا خيانة أمانة من جانب علماء الأندلس في حق الفقيه بن حزم , سواء أكان ذلك بالوشاية لدي الحكام, أو بطعنهم في علمه مع أنه أفحمهم, والأمانة العلمية مهمة جداً لارتقاء الشعوب لأنها تنقل شيء مهم ألا وهو العلم, من جيل إلي جيل, أو حتي من أمة إلي أمة.

(١) النويري، شهاب الدين ت٧٣٣: نهاية الأرب في فنون الأدب ج٢٣, ص٤٤٩, وأيضا: الذهبي: سير أعلام النبلاء, ج١٤, ص٢٧, ودوزي: المسلمون في الأندلس, ص٦١, ٢٦.
(٢) ابن بسام: الذخيرة, ج٥, ص١٨٠, ١٨١.
(٣) الصفدي (ت ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات, ج٢٠, ص٩٦.

فظاظة المعتضد وتهاونه بالدماء:

من شنيع ما روي عن المعتضد العبادي أن غلاماً دون البلوغ دخل عليه بغير استئذان فقطع المعتضد رأسه بالسيف, وذات مرة سمع جارية تقول: والله القبر أحسن من سكنى هذا القصر فقال: والله لأبلغنك ما طلبتيه، وأمر بها فدفنت حية, وتعجب الناس من وزيره ابن زيدون[١] كيف انفرد بالسلامة منه، فقال: كنت كمن يمسك بأذني الأسد يتقي سطوته، تركه أو مسكه، وفيه يقول عند موته أبيات تدل فرحه بموت المعتضد كان في الأصل يقولها أثناء حياة المعتضد لأنه كان غير مأمون على الدماء ولا حافظ لحرمة الأولياء:

لقد سرنا أن الجحيم موكل ... بطاغيةٍ قد حم منه حمام

تجانب صوب المزن عن ذلك الصدى ... ومر عليه الغيث وهو جهام[٢].

ولم تكن لدي المعتضد أمانة حينما قتل الغلام, صحيح أنه أخطأ, ولكن لا يصل عقابه إلي هذا الحد, والنسبة للجارية فلعلها قالت هذه الجملة, وهي في حالة إرهاق لكثرة العمل في القصور ولو أنها تعلم أن كلمتها تصل إلي المعتضد لما قالتها, وكان علي هذا الجبار أن ينزل عليها عقاب غير الدفن حية حتي الموت.

ومن أجل ذلك ابتلاه الله تعالي بموت ابنته, فحزن حزناً شديداً عليها, آلمه فراقها أشد الألم, وقد سار في جنازتها وقلبه يتفطر حزناً عليها ولم يعش بعدها كثيراً[٣], ولعل ذلك يكون درساً له من قبل الله عز وجل في حياته, فكما ابنتك روحها غالية عليك, فلماذا دفنت هذه المسكينة حية؟!.

(١) أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي الشاعر المشهور, وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة، وبرع أدبه, وجاد شعره، وعلا شأنه، وانطلق لسانه. ثم انتقل عن قرطبة إلى المعتضد عباد صاحب إشبيلية في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، فجعله من خواصه, يجالسه في خلواته، ويركن إلى إشاراته, وكان معه في صورة وزير, وذكر له شيئاً كثيراً من الرسائل والنظم, وكانت وفاته في صدر رجب سنة ثلاث وستين وأربعمائة بمدينة إشبيلية: (ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, ج١, ١٤٠.

(٢) ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات, ج٢, ص١٤٨.

(٣) دوزي: المسلمون في الأندلس, ج٣, ص٨٥.

المبحث الثاني
ملوك الطوائف وخيانات شنيعة

خيانة عظيمة لمدينة بربشتر:

في سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م هجم النورمان علي مدينة بربشتر وحاصروها لمدة أربعين يوماً, وتأتي الخيانة الفظيعة أولا من جانب حاكمها يوسف بن سليمان بن هود!, والذي تقاعس عن الجهاد والدفاع عن المدينة, وهذا بحد ذاته خيانة للأمانة, وتأتي الخيانة الأفظع من جانب المقتدر بن هود(١), وهو أخو الأمير السابق, حيث لم يقدم علي نجدة المدينة بحجة أنها تابعة لحكم أخيه, وليست تابعة له(٢).

دافع أهل المدينة في بداية الأمر عن بربشتر أشد دفاع وتمكنوا من قتل خمسمائة فارس من النورمان, ولما اشتد الضيق بالمدينة المحصورة، وعزت الأقوات، وقع الهرج والتنازع بين أهلها، وعلم النورمان بذلك، فشددوا قبضتهم وضاعفوا جهودهم, وهنا تأتي الخيانة, حيث كان يمد البلدة سرب تحت الأرض بالمياه من النهر المجاور!! فقام أحد الخونة بكشف سره للنورمان, فألقوا فيه صخرة كبيرة, فامتنع الماء عن أهل المدينة مما عجل باستسلامهم(٣).

كان من نتائج هذه الخيانة أن قتل مائة ألف شخص من أهل المدينة, ثم نادي ملكهم بالأمان فازدحم أهل المدينة علي الباب فهلك منهم خلق كثير, وتحصنوا برؤوس الجبال ثم نادي ملكهم مرة أخري بعودتهم إلي منازلهم, فاقتسمهم النورمان , وفعلوا بهم أفاعيل منكرة, حيث كانوا يفتضون البكر بحضرة أهلها وهم موثقون بالحديد, ويغتصبون الزوجات أمام ذويهم, فلما رأي بن هود فداحة الأمر وهول الخطب, نادي بالنفير للجهاد في بلاد المسلمين, فانقذوها(٤).

---

(١) المقتدر بن هود: هو أحمد بن سليمان بن محمد بن هود، الملقب بالمقتدر بالله: من ملوك الطوائف بالأندلس، وهو ثاني ملوك آل هود. كان أبوه قد قسم بلاده على أبنائه في حياته, فلم يلبث أحمد أن احتال على ثلاثة منهم (محمد، ولب، والمنذر) فأخرجهم من أماكنهم واعتقلهم وكحل بعضهم بالنار. وامتنع عليه أكبرهم (أخوه يوسف) فاستقل بمنطقة لاردة. وعظمت مملكة أحمد فتسمى المقتدر بالله, توفي في سنة ٤٧٤ هـ : الزركلي: الاعلام. ج١, ص١٣٢, وابن خلدون: العبر, ج٤, ص٢٠٩.

(٢) ابن بسام: الذخيرة, ج٥, ص١٨٢, وانظر أيضاً: عنان: دولة الإسلام في الأندلس, ج٢, ص٢٧٥.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب, المجلد الثاني, ص٤٥٩.

(٤) ابن عذاري: المصدر السابق, المجلد الثاني, ص٤٦٠, ٤٦١.

المعتضد يتحالف ويدفع الجزية للنصارى:

في عام ٤٤٤هـ/١٠٦٢م غزا ملك قشتالة فرناندوا الأول مدينة طليطلة حتي ملكها المأمون بن ذي النون إلي طلب الصلح ودفع الجزية, وفي السنة التي بعدها غزا فرناندوا أرضي مملكتي بطليوس وإشبيلية واضطر المعتضد أن يحذو حذو بن ذي النون في طلب الصلح ودفع الجزية لملك النصاري, وذهب إلي ملك النصارى بنفسه يقدم له العهود والمواثيق, ولما مات فرناندوا وخلفه ولده سانشو كان المعتضد يدفع إليه الجزية استكمالاً لعهده مع أبيه, واستمر المعتضد بتأدية الجزية ودفعها لسانشو حتي وفاته في شهر رجب من سنة ٤٦٤هـ/ إبريل ١٠٧٢م [١].

خيانة أدت سقوط مدينة قلمرية[٢]:

في عام ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م ضرب القائد النصراني فرناندوا الحصار علي مدينة قلمرية, وكان قائدها مملوك من قبل المظفر بن الأفطس, خرج هذا القائد المملوك سراً إلي المعسكر الصليبي بأهله, وقد أخذ المسلمون أهبة الاستعداد, فناداهم جنود النصاري: كيف تقاتلون وقائدكم عندنا؟ فصبروا إلي أن نفدت أقواتهم, فدخلوها عنوة, وقتلوا الرجال والذرية, وذهب القائد المملوك إلي ابن الأفطس, فأمر بضرب عنقه جزاء خيانته[٣].

يلمح ابن عذاري عقب ذكره مأساة مدينة قلمرية إلي أن مثل هذه الخيانات خاصة دفع الجزية إلي النصاري ما هي إلا طريق واضح نحو ضياع الأندلس فكتب: ’’ ولم يزل عدو الله ـ يقصد فرناندو ـ يقوي, والفتنة بأمراء الأندلس قبحهم الله تستعر؛ إلي أن كلب العدو علي جميعهم, ومل من أخذ الجزية, ولم يقنع إلا بأخذ البلاد, وانتزاعها من أيدي المؤمنين‘‘[٤], وهذا يدل بطبيعة الحال علي ضياع الأمانة من قلوب ملوك الأندلس آنذاك.

---

(١) عنان: دولة الإسلام في الأندلس, ج٢, ص٤٨.

(٢) قلمريه هي بالأندلس من بلاد برتقال(أي البرتغال) بينها وبين قوريه أربعة أيام, وهي على جبل مستدير، وعليها سور حصين، ولها ثلاثة أبواب، وهي في نهاية من الحصانة, وهي صغيرة متحضرة عامرة كثيرة الكروم والتفاح والقراسيا؛ ومكانها في رأس جبل ترابٍ، لا يمكن قتالها، وهي على نهر عليه أرحاء، وبين قلمرية وشنترين ثلاث مراحل، وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلاً: (الحميري: صفة جزيرة الأندلس, ص١٦٤).

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام, ص١٨٤.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب, المجلد الثاني, ص٤٦٩.

وصائف وملهيات بعد الحرب:

مما يدعو إلي الغرابة والدهشة! بعد الحرب التي اشتعلت بين المعتضد وبن الأفطس في عام٤٤٢هـ/١٠٥٠م , وبالطبع كانت هذه الحرب سبباً في إهلاك الحرث والنسل, والتي كانت الأمانة غائبة عنها بكل مقاييسها, فقد أقبل بن الأفطس ببعث رسله ليبحثوا له عن ملهيات من الجواري يأنس بهن, ليزيح عن نفسه شماتة الهزيمة, فقام رسوله بشراء جاريتين من قرطبة, ولكنه لم يستطع المرور لأن عساكر المعتضد تملأ الطرقات وأبواب المدن, وبسبب انعدام الأمانة عند المعتضد وابن الأفطس اشتعلت الحرب بينهما من جديد بسبب التنافر علي جارية عبدالرحيم الوزير في قرطبة, وتباريا في القطيعة حتي هلك كثير من الناس في هذه الحرب البغيضة إلي أن أصلح بينهما بن جهور في بداية عام٤٤٣ /١٠٥١م[١].

كانت الأمانة تقتضي أن يدافعوا عن بلادهم, ويعتصموا ببعضهم ضد الخطر المسيحي في الشمال لا أن يفتكوا ببعضهم, وصدق من قال: الاتحاد قوة والتفرق ضعف.

المقتدر بن هود[٢] يقتل رجلاً يعظه:

كان للمقتدر أحمد بن سليمان الطاعة في الثغر الأعلى سرقسطة Saragosse,وينسب إليه أنه قام باستنفار المسلمين لنجدة بربشتر في محنتها السابقة, لكنه قتل رجلاً صالحاً من المسلمين, وكان سبب قتله أنه قام بوعظه[٣],وكان سبب هذا الوعظ أن أهل قرية من القري التابعة لابن هود أخبروه بمسألة دفع الجزية للنصارى, فقال: معاذ الله أن يحدث هذا وأنا حي في الدنيا أبداً, فأتي بن هود ووعظه, فقام بقتله, وكانت علته في ذلك هو عدم اجتراء الناس علي الاقتداء بهذا الرجل[٤]! وهنا جاء انتقام المولي عز وجل سريعاً, حيث عضه كلب

(١) ابن بسام: الذخيرة, ج٣, ص٣٥, ٣٦.

(٢) أحمد بن سليمان بن محمد بن هود، الملقب بالمقتدر بالله: من ملوك الطوائف بالأندلس، وهو ثاني ملوك آل هود. كان أبوه قد قسم بلاده على أبنائه في حياته، فجعل العاصمة سرقسطة Saragosse لأحمد وضم ممالك إخوته إليه وعظمت مملكة أحمد فتسمى (المقتدر بالله) واستولى على طرطوشة Tortosa , واستمر إلى أن توفي بسرقسطة: الزركلي: الأعلام, ج١, ص ١٣٢.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام, ص١٧١.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب, المجلد الثاني, ص٤٦٢.

فمات بسببها, وقد ألمح بن الخطيب إلي أن ذلك كان عقاب إلهي بسبب قتله الرجل الصالح, حيث كان يعوي كما تعوي الكلاب حتي مات(١).

محالفة النصاري:

في أثناء قيام دولة بني هود في سرقسطة حدثت خيانات من نوع موالاة الأعداء, والاستعانة بالنصارى علي المسلمين, وذلك أن سليمان بن هود قبل وفاته قسم مملكته بين أبنائه, فولي أحمد سرقسطة, وولي يوسف مدينة لاردة(٢), وولي محمداً قلعة ومدينة أيوب, وقد حدث الصدام بين الأخوة بعد وفاة الأب, وطغي كل منهم علي الآخر إلي أن أحمد تغلب عليهم, وقهرهم جميعاً, واستأصلهم واستولي علي ما في أيديهم, وتلقب بالمقتدر بالله(٣).

جملة استأصلهم تدل بعمومها علي شبهة خيانة, وإن لم تكن بطريق مباشر, ولكن الاستئثار بالسلطة جعل المقتدر يفني إخوته, وهو بحد ذاته خيانة.

يبدو أن الشيء الذي جعل أحمد المقتدر ينتصر علي إخوته هو استعانته بالنصارى في حربه ضد أخوته, وهو الأمر الذي صرح به ابن خلدون في تاريخه: '' ثم نشأت الفتنة بينهما وانتصر المقتدر بالإفرنج والبشكنس فجاءوا لميعاده فوقعت الفتنة بين المسلمين وبينهم ثائره، وانصرفوا إلى يوسف صاحب لاردة فحاصرهم بسرقسطة، وذلك سنة ثلاث وأربعين''(٤), والداهية العظمي أن المقتدر بن هود أرهق رعيته بالجزية التي فرضها عليه ملك النصاري فأي خيانة لله وللمسلمين هذه؟(٥).

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام, ص١٧١, ابن عذاري: البيان المغرب, المجلد الثاني, ص٤٦٢.
(٢) مدينة في ثغر الأندلس الشرقي، وهي مدينة قديمة ابتنيت على نهرٍ يخرج من أرض جليقية، يعرف بشيقر، وهو النهر الذي تلقط منه شذرات الذهب الخالص، وهي بشرقي مدينة وشقة. وكانت مدينة لاردة قد خربت وأقفرت، فجدد بنيانها إسماعيل ابن موسى بن لب بن قسى سنة: ٢٧٠ : الحميري: صفة جزيرة الأندلس, ص١٦٨.
(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام, ص١٧١.
(٤) ابن خلدون: العبر, ج٤, ص٢٠٩.
(٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام, ص١٧٢.

محاولة غدر علي بن مجاهد بأخيه:

كان علي بن مجاهد يبغض أخيه كثيراً بسبب ترشيح أبوه لأخيه حسن الأصغر منه سناً, فعدل عنه وعهد بالولاية لعلي بن مجاهد, فاشتد الحقد بينهما لدرجة أن ذهب حسن بن مجاهد إلي زوج أخته المعتضد بن عباد واتفقا علي الغدر به, وبعث معه غلاماً ليساعده في اغتياله, ولكن المحاولة باءت بالفشل, ونجا علي بن مجاهد من الغدر, ولقد وصف ابن الخطيب هذا الرجل أي حسن بن مجاهد بالغدر صراحةً في كتابه: '' وخرج هذا الغادر من بلنسية, إلي صهره المعتضد, وشاعت قصته في الأندلس, فلم تكن له بين الناس منزلة''(١).

ما ترتب علي تولية اليهودي يوسف بن نغدلة(٢):

أولاً: كان لباديس بن حبوس(٣)ابن عم منافس له يريد أن ينتزع غرناطة لنفسه يسمي: يدِّير بن حُباسة بن ماكسن, وكان لأبي العباس(٤)كاتب حبوس، مساعد من اليهود يدعى أبو إبراهيم يوسف ابن اسماعيل بن نغدلة كان يتولى جمع المال، وكان رجلاً متواضعاً حسن السيرة، فلما توفي أبو العباس تقدم مكانه، وعلت منزلته، ولما ولي باديس زادت حظوته وظهرت همته في جمع الأموال, فلما دبر

(١) ابن عذاري: البيان المغرب, المجلد الثاني, ص٤١٣.

(٢) ويسمي بن نغرالة في أعمال الأعلام, وابن نغرلة في المغرب لابن سعيد, وبن النغريلي في ذخيرة بن بسام, وبن نفريلة في رسائل بن حزم, هذا الاسم إذا أطلق عني أحد اثنين هما: صموئيل بن يوسف (إسماعيل أو أشموال عند ابن حزم في الفصل) المكني بأبي إبراهيم، وابنه يوسف بن إسماعيل المكني بأبي الحسين. والأول وزر لصاحب غرناطة حبوس ثم لابنه باديس وخلفه ابنه في خطته، والثاني - يوسف - هو الذي ثارت به صنهاجة وقتلته : ابن حزم: رسائل بن حزم, ج٣, ص٧.

(٣) هو باديس بن حبوس بن ماكس بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، من قواد البربر، له شرف وأبوة وعشيرة, تملك غرناطة، وجيش الجيوش، وحارب المعتصم صاحب المرية، والمعتضد صاحب إشبيلية، وكان سفاكا للدماء, توفي والد باديس هذا: في سنة تسع وعشرين وأربع مائة، وتملك ابنه باديس بن حبوس، وامتدت أيامه، ثم تملك غرناطة ابن أخيه عبد الله بن بلكين بن حبوس، وبقي حتى أخذها منه يوسف بن تاشفين، سنة بضع وثمانين وأربع مائة: الذهبي سير أعلام النبلاء, ج١٤, ص٤٣, ٨٤.

(٤) هو ثابت بن محمد الجرجاني العدوي، يكنى: أبا الفتوح, مولده سنة خمسين وثلاث مائة, قدم الأندلس سنة ستٍ وأربع مائة وجال في أقطار الأندلس وبلغ إلى ثغورها، ولقي ملوكها. وكان إماما في العربية متمكنا في علم الأدب مذكورا فيها بالتقدم في علم المنطق ومات سنة إحدى وثلاثين وأربع مائة : ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس, ص١٢٥.

القوم مؤامرتهم لانتزاع السلطة من باديس وإجلاس يدير مكانه، لجأوا إلي اسماعيل بن نغدلة, وحاولوا ضمه إليهم، فتظاهر بالقبول، وأخطر مولاه باديس ودبر اجتماعهم بمنزله، وحضور باديس ليسمع بنفسه مشاوراتهم من مكان معين، ومنذ ذلك الحين أصبح ذلك اليهودي أثيراً عند باديس، وصار ناصحه الأول، لا يبرم أمراً دون رأيه, ثم قام باديس بقتل الوزير السابق أبي العباس جزاء خيانته[١].

لما مات اسماعيل بن نغدلة سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م, تولي الوزارة من بعده ولده يوسف بن نغدلة الذي بدأ خيانته بأن استعمل اليهود في الوظائف بدل من المسلمين, وأخذ يجتهد في إرهاق الناس بجباية الأموال, بل وازدادت جرأته بأن عين جواسيس له في القصر يراقبون تحركات باديس بالرشوة, فلا يكاد الأمير يتنفس، إلا وهو يعلم ذلك, كما أنه يعد ضالعاً في الخيانة باستدعائه بني صمادح بالمرية لغزو باديس, وهو في هذه الحال منغمس في بطالته، عاكف على شرابه[٢].

ضلوع بن نغدلة في قتل ولد باديس بن حبوس:

في خيانة مكتملة الأركان أقبل اليهودي بن نغدلة علي قتل ولي عهد الصنهاجيين, وهو ولد باديس المدعو بلقين , وكان أبوه قد رشحه لولاية العهد من بعده, ولكن بن نغدلة كان له رأي آخر فيه, فقد دعاه إلي حفلة مخصوصة لشرب الخمر, وسقاه كأس مسموم أدي إلي انتهاء حياته علي الفور[٣].

لم تكن هذه الخيانة كافيه لرجوع بن نغدلة عن خيانته, وانما أكمل الدور بتوجيه التهمة إلي أقارب باديس من أولاده وجواريه وأقاربه, فأقبل باديس بعمل القتل والإبادة فيهم, حتي اضطروا للفرار من حوله, وبالطبع أضمروا له الكره الشديد, و عظم استيلاء اليهودي علي الأمور[٤].

كانت الأمانة توجب علي باديس أن يحقق في قتل ولده, ولا يسرع بالقصاص من أهله لمجرد أن وزيراً يهودياً أخبره أنهم قتلوه, ثم السؤال الذي يطرح نفسه ويأتي من ورائه العجب والدهشة! لماذا لم يشك باديس في اليهودي؟ وهو الذي يطعن في

(١) ابن بشكوال: الصلة, ص١٢٥, وعنان: دولة الإسلام في الأندلس, ج٢, ص١٢٧.
(٢) ابن الخطيب: الإحاطة, ج١, ص٢٤٣, ٢٤٤.
(٣) ابن الخطيب أعمال الأعلام, ص٢٣١.
(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق نفس الصفحة.

العلماء, بل وفي الإسلام نفسه, وما هو السبب الذي جعل باديس يثق في اليهودي إلي هذا الحد؟ ربما كان بعد باديس عن الوازع الديني سبباً في كل ذلك, ولم تكن لديه أمانة, ودليلنا أن مسلاه الوحيد في هذا الأمر هو شربه للخمر, حتي أن بقية أقربائه فروا من حوله لما رأوه علي هذه الحالة(١).

علي الرغم مما حدث يقبل إسماعيل أو يوسف بن نغدلة(٢) هذه المرة علي خيانة من نوع آخر إذ أخذ يطعن في الإسلام مجاهراً, ومستهزئاً بتعاليمه , حيث كان يغسل وجهه ببوله, وألف كتاباً في الرد علي الفقيه بن حزم, ولم يستطع الناس انكار ذلك إلا بقلوبهم, وتمادي في غيه حتي علي بني ديانته من اليهود فظلمهم وجار عليهم, وخرج في موكب ذات مرة, فلوحظ عدم وجود فارق بين موكبه وموكب باديس بن حبوس, حتي علق أحد الناظرين لما رأي هذا المنظر: '' فرأيته مع باديس، فلم أفرق بين الرئيس والمرؤوس، فأنشدت: " تشابهت المناكب والرؤوس "(٣).

وبلغ من قذارته, وعدائه السافر للإسلام أنه أقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات يغني بها, وكان مما قال:

نقشت في الخد سطراً..... من كتاب الله موزون

لن تنالوا البر حتى ... تنفقوا مما تحبون(٤).

بسب ذلك أصبح سائر أهل غرناطة يشتعلون غيظاً على الطاغية اليهودي، ويترقبون الفرص لإسقاطه ، ولقي سخط الشعب الغرناطي على اليهود في تلك الآونة متنفسه في الشعر، ونظم الفقيه الورع الزاهد أبو إسحاق الإلبيري(٥) قصيدته الشهيرة في التحريض على سحق اليهود، والتخلص من طغيانهم، وهذا بعض ما ورد في تلك القصيدة التي ذاعت يومئذ ذيوع النار في الهشيم، وألهبت مشاعر الشعب الغرناطي، وكانت كالشرارة التي أشعلت الحريق وأثارت الانفجار:

(١) ابن عذاري: البيان المغرب, المجلد الثاني, ص٤٨٩.

(٢) عند ابن بسام العكس حيث يذكر أن يوسف هو أبو اسماعيل بينما عند ابن الخطيب في الإحاطة يذكر أن اسماعيل هو أبو يوسف: أنظر الذخيرة,ج٢, ص٧٦٦, وما بعدها.

(٣) ابن بسام: الذخيرة في محاسن الجزيرة, ج٢, ص٧٦٦, ٧٦٧.

(٤) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب, ج٢, ص١١٤, برقم٤٢٦.

(٥) إبراهيم بن مسعود بن سعيد، أبو إسحاق التجيبي الإلبيري: شاعر أندلسي أصله من أهل حصن العقاب. اشتهر بغرناطة وأنكر على ملكها كونه استوزر ابن نغزلة (اليهودي) فنفي إلى البيرة, وشعره كله حكم ومواعظ وتوفي نحو ٤٦٠هـ/١٠٦٨م : الزركلي: الأعلام,ج١ ص٧٣.

ألا قل لصنهاجة أجمعين ... بدور الزمان وأسد العرين
لقد زل سيدكم زلة ... تقر بها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافراً ... ولو شاء كان من المؤمنين[١]

بالإضافة إلي بن نغدلة كان في الأساس يهدف إلي إقامة دولة لليهود في الأندلس, فتيقن الصنهاجيون من ذلك فثاروا عليه, حتي أختبأ في بيت فيه فحم , وقام بتلوين وجهه بالفحم يبتغي التنكر حتي يستطيع الهرب, ولكنهم قبضوا عليه, وقتلوه وصلبوه علي باب المدينة, وبسبب ذلك قتل من اليهود الكثير في غرناطة[٢].

من هنا يتبادر إلي الذهن أن تولية اليهود في الأندلس ليس من قبيل التسامح الديني, وإنما هو نتيجة عدم الأمانة والوعي لدي حكام الأندلس, فما فعله بن نغدلة دليل واضح علي غدر هذا اليهودي, وعدم صلاحيته لتولي هذا الأمر بسبب انعدام الأمانة لديه من الأساس, ويزداد الجرم عندما تكون هناك كفاءات تعج بها الأندلس.

المبحث الثالث

نهاية الخيانة المحتومة

الغدر والخيانة بالعالم بن الحديدي[٣]:

لما استولي اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون علي طليطلة, فسار فيهم بالعدل, وأحبته الرعية, وكان هناك عالم جليل القدر في طليطلة يسمي أبا بكر بن الحديدي, وكان ذا حس عقلي كبير, وله حسن نظر في صلاح طليطلة فبلغ مكانة عالية عند بن ذي النون, حيث كان لا يقطع أمراً دونه, فحسده قوم من أهل طليطلة علي منزلته عند أميرهم, فأخذوا يدسون عليه عند ابن ذي النون, وعادوه عداوة بالغة[٤].

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام, ص٢٣١, وعنان: دولة الإسلام في الأندلس.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب ص٤٨٩, وابن الخطيب: الإحاطة ج١, ص٢٤٤, و وأعمال الاعلام ص٢٣٣.

(٣) هو يحيى بن سعيد بن أحمد بن يحيى بن الحديدي: من أهل طليطلة؛ يكنى: أبا بكر, وكان نبيلاً متفنناً، فصيحاً فطناً مقدماً في الشورى، وكانت له مكانة عند المأمون يحيى بن ذي النون، وكان لا يقطع في شيء من أوامره إلا عن مشورته ودخل مع المأمون قرطبة إذ ملكها. وكان مستوليا على أمره فلما توفي المأمون استثقله حفيده القادر بالله حتى قتل بقصره ضحوة يوم الجمعة من المحرم سنة ثمان وستين وأربع مائة, ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس, ص٦٣٣.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب, المجلد الثاني, ٤٩٧.

لما مات اسماعيل بن ذي النون٤٣٥ هـ/١٠٤٣م, وخلفه علي طليطلة ولده المأمون بن ذي النون, وقبل وفات اسماعيل أخذ العهود علي ولده بحسن معاملة بن الحديدي, ولكنَّ الحاسدين ظلوا به حتي أوغروا صدره عليه بحجة مخافة الانقلاب إذ ما اجتمع الناس حول بن الحديدي لمكانته وكلمته المسموعة منهم, فأخذوا يقنعونه بأنه لا يمكن أن يحكم بصورة حقيقية، حتى يتخلص من نير ابن الحديدي وطغيانه, ويشير بن بسام إلي حقائق حول الموضوع:'' ويخوفه سوء عواقب الأيام, فركب هواه، وخالف ناصحه وعصاه، وجرد قطعةً من جنده، وأمرها باستقبال تابوت جده في طريقهم من قرطبة، وأنهى إليهم سراً قتل ابن الحديدي المستقل بحمله الناظم لأشتات فله, وقال لهم: إذا التقيتموه فكونوا حوله، وعظموا قوله، فإذا امكنتكم غرته، وبدت لكم ثغرته، فاقتلوه كيف أمكن(١).

وبرزا في فتنة مقتل هذا العالم الفاضل شيخان من شيوخ الخدمة ـ ربما يكونا أصحاب منصب أو ما شابه ـ أحدهما يسمي مؤمل والآخر يسمي ابن صروم, وكان هاذان الرجلان قد دخلا السجن بسبب اتهام بن الحديدي لهما سابقاً, فانتهزا الفرصة بعدما أخرجهما بن ذي النون خصيصًا من السجن لإنهاء بن الحديدي إلي الأبد, فكانا عنوان الفتنة، وباكورة المحنة, وانضم إليهم ثالث يدعي ابن المشاط, وهو الذي أبدي بن بسام رأيه فيه صراحة: '' ودخل ابن الحديدي يومئذ القصر، والمقدار يزعجه، والخائن الغدار ابن المشاط يستدرجه، فلما أنضى إلى مجلس ابن ذي النون رأى وجوهاً قد أمنها مما تخوفها , وقتل علي أيديهم في قصره, أوائل المحرم سنة ٤٦٨ هـ/ اغسطس١٠٧٥ م (٢).

بداية خيانات بني هود المستمرة:

لما تولي معز الدولة يحي بن منذر مدينة سرقسطة في ٤١٩هـ/١٠٢٨م بعد وفاة أبيه كرهه بنو عمه بسبب أمه لأنها كانت أخت يحي بن ذي النون, فتواطئوا علي خيانته بقتله, وبالفعل تظاهر رجل منهم يدعي عبد الله بن حكيم بتقبيل يده, فطعنه بخنجر في صدره فمات, وخرج هذا الخائن من القصر فأجتمع بنو عمه, وأجمعوا علي توليته, وكان هذا الرجل فاحشاً لدرجة أنه كان يدخل الحمام علي النساء! وابن

(١) ابن بسام: الذخيرة, ج٧, ص١٥١, وما بعدها
(٢) ابن بسام: الذخيرة, ج٧, ص١٥٣, ١٥٤.

عذاري لم يخفي حقيقة هذا الرجل حتي وصفه بالعهارة علناً, واجتمع أهل البلد علي قتله فلاذ بالفرار, فبعثوا إلي سليمان فتولي منذ ذلك سرقسطة(١).

لما آل الأمر إلي سليمان المستعين ظل بسرقسطة حتي توفي في ٤٣١هـ/١٠٤٠م, وقسم ملكه بين أبنائه, فتعاونوا مع النصاري كما بينا سابقاً, ولكن الجديد في الأمر أن يوسف بن سليمان بن هود كان بطلاً شهماً, وكان أخوه أحمد يضطرم قلبه حقداً عليه! ولما رأي أحمد ذلك راسل الطاغية النصراني بن رذمير أن يعلمه بما دفع أخوه من مال لكي يسمح بمرور البضائع إلي تطيله(٢), ولم يزل بابن رذمير حتي دفع أكثر من أخيه لكي يسمح له بمهاجمة القافلة في بلاده, فهاجمها وقتل منها خلق كثير, وكانت هذه الوقعة في وسط بلاد النصاري فانتهزوها فأعملوا القتل فيهم أيضاً, وفتكوا بهم وأسرو وسلبوا الكثير(٣).

من الملاحظ هنا أن رذمير سمح بذلك لعلمه أنه المستفيد من هذه الخيانة, فهي تهدف إلي إضعاف المسلمين من ناحية, ومن ناحية أخري تشعل الصراع بين الأخوة المتصارعين, فيسهل عليه افتراسها فيما بعد, وحتي إن لم يكن له يد في الأمر فإن المسلمين هم الخاسرون في النهاية وقد رأينا كيف كانت النهاية هنا, وهو أن انقض النصاري علي المسلمين فقاموا بالسلب والنهب والقتل.

منافسة بغيضة بين ابن هود وابن ذي النون أدت إلي سقوط طليطلة:

في عام ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م, وقع الصدام بين المأمون بن ذي النون, وبين سليمان بن هود جاره من الناحية الشمالية الشرقية, وكانت مدينة وادي الحجارة بالأخص مثار نزاع بينهما، وبالرغم من أنها كانت من أعمال مملكة طليطلة، إلا أن فريقاً من أهلها كانوا ينزعون إلى الانضواء تحت سلطان سليمان بن هود صاحب سرقسطة، وكان سليمان يعمل على بث الاضطراب فيها، على يد رسله وأعوانه، فلما نضجت

(١) ابن عذاري: البيان المغرب, المجلد الثاني, ص٤٥٧.

(٢) مدينة بالأندلس في جوفي وشقة، وبين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة، ويطيف بجنات تطيله نهر كالش، وهي من أكرم تلك الثغور تربة يجود زرعها ويدر ضرعها وتطيب ثمرتها وتكثر بركتها، وأهل تطيله لا يغلقون أبواب مدينتهم ليلا ولا نهارا قد انفردوا بذلك من بين سائر البلاد: (الحميري: الروض المعطار, ص١٣٣).

(٣) ابن عذاري البيان المغرب, المجلد الثاني, ص٤٥٨.

دعوته أرسل إليها قوة من جيشه بقيادة ولده وولي عهده أحمد فنازلها، ثم دخلها بمعاونة بعض أهلها الضالعين في الخيانة معه(١).

أدت هذه الأحداث إلي فرار المأمون بن ذي النون, وتركه طليطلة وتحرك ضد القادر حزب المشيخة الذين أخرجهم من السجن، فلما وجد الفوضى عامة هرب من طليطلة، وانفلت زمام البلد، وأقام أهلها كما يقول ابن بسام - " في هياط ومياط ولجب واختلاط، ليس عليهم أمير، ولا فيهم إلى الصواب مشير ", وعندئذ تزعم عليهم رجل يدعى ابن القلاس، وأشار عليهم باستدعاء المتوكل ابن الأفطس، فدخل طليطلة عقب سنة ٤٣٧هـ /١٠٨١م (٢).

أما ابن ذي النون الهارب فانه أخذ يراسل أذفونش، ويذكره كيف أن بني ذي النون هم الذين مكنوه من الملك بعد أن ثارت المنازعات بينه وبين أخويه شانجه وغرسيه، وأن المأمون هو الذي آواه، عندما كان بحاجة إلى مأوى(٣).

لم يقف المأمون عند هذه الخيانة وحسب, بل صمم علي الانتقام من سليمان بن هود عن طريق النصاري, ففي حدود عام٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م فاوض فرناندو الأول ملك قشتالة آنذاك، وطلب عونه، وتعهد بأن يقر بسيادته، وأن يؤدى له الجزية, , ودفع إليه أموالاً طائلة, وذخائر نفيسة أهداها إلي هذا الطاغية, وكل ذلك من أموال المسلمين جبايةً, فاستجاب فرناندو لدعوته, وقام بمهاجمة أراضي بن هود المجاورة لقشتالة وعاث الجنود النصاري تخريباً في البلاد وسفاً للدماء, كل ذلك وابن هود ممتنع في حصونه مجتنب للاشتباك مع المعتدين، وانتهز المأمون هذه الفرصة، فأغار بدوره على أراضي ابن هود المتاخمة له وعاث فيها فساداً وتخريباً(٤).

كل ذلك أدي إلي زرع الخوف والجبن في قلوب المسلمين المقيمين علي الثغور هناك, وغابت عن المجتمع الأندلسي كل قيم الإسلام الرفيعة, والتي من أهمها الدفاع عن الوطن والعرض, بل وزرع الله في قلوب المسلمين الجبن والخوف

(١) ابن عذاري: البيان المغرب, المجلد الثاني, ص٤٩٧, وعنان: دولة الإسلام في الأندلس, ج٢, ص٩٨.

(٢) ابن بسام : الذخيرة, ج٧, ١٥٨, وإحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي, ص٢١.

(٣) ابن بسام: المصدر السابق, ج٧, ص١٦٠.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب, المجلد الثاني, ص٤٩٨, وعنان: دولة الإسلام في الأندلس, ج٢, ص ٩٨, ٩٩.

لمجرد رؤيتهم لنصراني, وكان من جملة ما وصفه ابن عذاري: '' وصب الله تعالي من الجبن والخور علي أهل الثغور ما لا كفاءة له, فلا يكاد أحد منهم يلقي نصرانياً إلا ويوليه الدبر غير مستحياً من الله تعالي من الفرار امامه, حتي تعود أعداء الله ذلك, فذهبت أكثر أموال أهل طليطلة بتلك الغارات! [١].

ومن يفعل ذلك من المسلمين لا شك أنه قد ارتكب كبيرةً مما نهي الله عنه إذ يقول المولي عز وجل: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ, وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّآ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }[٢],فالأمانة تحتم علي المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم حتي ولو كان عدوهم ضعفهم, وفي هذه الآية أمر بألا يولي المؤمنون الزحف أمام الكفار, والفرار كبيرة موبقة بظاهر القرآن وإجماع الأكثر من الأئمة, كما أن المعارك التي خاضها المسلمون كان معظمها أقل من عدوهم بكثير, أي ليس المقياس بالكثرة, وحتي في فتح الأندلس نفسها كان عدد جيش طارق بن زياد ألف وسبعمائة مقابل سبعين ألفا من جيش لزريق[٣].

لقد كان لأهل طليطلة بعد نظر حينما اجتمعوا مع سليمان بن هود؛ وأخذوا يذكرونه بأهمية الأمانة الملقاة علي عاتقه من قِبَلِ الله عز وجل, ووعظوه , وحذروه من غضب الله تعالي إن هو واصل التحالف مع النصاري؛ وعرفوه بما فعل العدو بأرض المسلمين من سلب ونهب وقتل وما سوي ذلك, وذهبوا إلي أميرهم يحي بن ذي النون ـ المأمون ـ وعرضوا عليه الصلح بينه وبين ابن هود, مذكرين إياه بأهمية الصلح ومواجهة عدو المسلمين الأول المتمثل في النصاري الإسبان, وحتي يتمكنوا من إزالة الطمع الذي يطمع فيه الأعداء, وفي الحقيقة كان بن ذي النون لا يريد عن محالفة النصاري بديلاً, وفي النهاية أذعن لرجاء أهل طليطلة, ورجعت الجيوش المعادية إلي بلادهم[٤].

(١) ابن عذاري: البيان المغرب, المصدر السابق, ص٤٩٩.
(٢) الأنفال: آيتان رقم ١٥, ١٦
(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القران, ج٧, ص٣٨٠ وما بعدها.
(٤) ابن عذاري: البيان المغرب, المجلد الثاني, ص٤٩٨.

الرجوع إلي الخيانة:

في عام في٤٣٧ هـ - ١٠٤٥ م قام سليمان بن هود بخيانة بن ذي النون في هذا الصلح, وأخذ بمهاجمة مدينة سالم وهي تابعة لطليطلة, ومعه سرية من النصاري حلفائه, وقتل معظم المدافعين عنها، ثم استولى على سائر الحصون التي كان قد انتزعها منه المأمون، وكان معه في هذه الغزوة ـ

عبد الرحمن بن إسماعيل بن ذى النون ـ أخو المأمون الثائر عليه يدله على نقاط ضعفه, وثغراته, وهرع المأمون بقواته إلى مدينة سالم للدفاع عنها، وعلي الفور بعث بالمال والهدايا إلي حليفة غرسية, والذي بدوره أغار هو الآخر علي بلاد بن هود ففعل كما فعل أخوه ببلاد المسلمين, فأغار بقواته على أراضي ابن هود المتاخمة له، فيما بين تطيلة ووشقة وعاث فيها تخريباً، وافتتح منها قلعة قلهرّة[١]ولم يجد أهل طليطلة حلاً لهذه المعضلة سوي أن يتقدموا بعرض مالي إلي فرناندوا فاشترط عليهم شروط لا يقدرون عليها؛ واخبروه بأنهم لو استطاعوا فعل ذلك لدفعوا هذه الأموال إلي البربر وأتوا بهم إليه, فكان رده:

'' أما استدعاؤكم البرابرة، فأمر تكثرون به علينا، وتهددونا به، ولا تقدرون عليه، مع عداوتهم لكم، ونحن قد صمدنا إليكم ما نبالي من أتانا منكم، فإنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديماً في أول أمركم، فقد سكنتموها ما قضي لكم، وقد نصرنا الآن عليكم برداءتكم، فارحلوا إلى عدوتكم، واتركوا لنا بلادنا فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد اليوم، ولن نرجع عنكم، أو يحكم الله بيننا وبينكم''[٢].

مأساة بطرنة[٣].

ما حدث في موقعة بطرنه أمر في غاية الغرابة! فقد حدث أن بعض نصاري الإسبان قصدوا بلنسية يريدون حربها في سنة٤٥٦هـ/١٠٤٦م, وكان أهلها في غاية الترف والدعة, منغمسون في الملذات, جاهلون بفنون الحرب, وكان من جهلهم أن خرجوا بثياب الزينة, وتحديداً لباس الحرير, وخرج معهم أميرهم عبد

(١) قَلَهُرَّةُ: مدينة من أعمال تطيلة في شرقي الأندلس: ياقوت الحموي: معجم البلدان, ج٤, ص٣٩٣.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب, المجلد الثاني, ص٤٩٨, وص٥٠٠.

(٣) بطرنة من إقليم بلنسية بشرق الأندلس. وقد ضبطها ابن خلدون بخط يده: بفتح الباء والطاء المهملة وراء ساكنة بعدها نون: انظر حاشية بن خلدون: العبر, ج٧, ص٥١١.

العزيز ابن أبي عامر, واستدرجهم العدو, ثم عطفوا عليهم فاعملوا فيهم بالقتل والأسر، وما نجا منهم إلا من أطال الله له في أجله, وقد أنشد الشاعر أبو إسحاق بن معلى الطرسوني[١]:

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستم ... حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها ... لو لم يكن ببطرنة ما كانا[٢].

وانعدام الأمانة هنا تكمن في الاستخفاف بالحرب, وعدم الاستعداد لها بما يناسبها, وهو مخالف لتوجيهات رب العامين في القران الكريم, إذ يقول المولي عز وجل: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}[٣],وهو أمر في غاية الخطورة لتعريض حياة الناس للخطر والقتل.

وتكمل الخيانة في عدم تنفيذ أقوال الرسول صلي الله عليه وسلم والمتقضية عدم ارتداء الحرير للرجال فقد ذكر أن أهل بلنسية ـ ولا يخفي أن معظم الذين خرجوا للحرب كانوا رجال بالطبع , وهو ما أشار إليه بن بسام في الذخيرة: '' وذكرت بما وصفه عن أهل بلنسية من خروجهم لقتال عدوهم في ثياب الحرير''[٤], وجاء النهي عن لبس الحرير في أحاديث لرسول الله صلي الله عليه وسلم نذكر منها علي سبيل المثال لا الحصر: عن سيدنا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ: إِنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي "[٥].

وبعد الهزيمة كانت الغنيمة كبيرة, كأن أهل بلنسية يريدون أن يوفرا علي الأعداء عملية جمع الغنائم الثمينة, وينتقد ابن حيان هذا المشهد الذي يمثل ضياع الأمانة أي أمانة المسؤولية: '' فلم يرع الأسماع إلا ورود الخبر بما صكها من توريط

(١) أبو إسحق إبراهيم بن معلى الطرسوني شاعر ممتد النفس شديد المرس قدير على التطويل اشتهر ذكره بمدح ملك الثغر المقتدر بن هود وجال على بلاد الأندلس وهو ممن ذكره ابن بسام وقال فيه قدح البلاغة المعلى وسيفها المحلى: ابن سعيد المغربي: المغرب في حلي المغرب,ج٢, ص ٤٥٧, برقم٦٣٨.
(٢) ابن بسام: الذخيرة, ج٦, ص٨٥٠, و المقري: نفح الطيب, ج١, ص١٨١.
(٣) سورة الأنفال: آية رقم ٦٠.
(٤) ابن بسام: الذخيرة, ج٦, ص٨٥٠.
(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده.

المسلمين في جحيم ذلك المأزق، ومما وقع من التعجب منهم أنه أخذ من البياض المقتولين من أهل طليطلة في تلك الوقعة ألف غفارة[١] من لبوس أهل الرفاهية أيام المباهاة، ركبوا بها إلى الطاغية - قصمة الله - كأنهم وفد سلم يشهدون المعاقدة،،[٢] المعتمد العبادي[٣] وخياناته:

أولاً: مسألة الإسراف الغير معقول:

تولي المعتمد بن عباد إشبيلية بعد وفاة أبيه, وتزوج من اعتماد الرميكية[٤] وصارت حظية عنده, ورأت في أحد الأيام نساء إشبيلية يبعن اللبن في القرب وهن رافعات عن سوقهن في الطين؛ فقالت له: أشتهي أن أفعل أنا وجواري مثل هؤلاء النساء، وليس من المعقول أن تخوض زوجة الأمير في الطين الحقيقي, فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد, وخلطها حتى جعلها طيناً خاصاً بالملوك، وجعل لها قربا وحبالا من إبرسيم[٥], وصرف عليه أموالاً ضخمة من بيت مال المسلمين وخرجت هي وجواريها تخوض في ذلك الطين ، وأمرها أن

(١) وكل ثوب يغطى به شيء، فهو غفارة: ابن منظور لسان العرب, ج٥, ص٢٥.

(٢) ابن بسام: المصدر السابق نفس الصفحة, والمقري: نفح الطيب, ج٤, ص٤٤٨, ٤٤٩.

(٣) ـ المعتمد بن عباد: هو محمد بن عباد بن محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمي, وكنيته أبو القاسم, وأمه أم ولد واسمها إقبال, ملك قرطبة, وأخرج منها بن جهور غدراً وكان المعتمد هذا يشبه بهارون الواثق بالله, من ملوك بني العباس، ذكاء نفس وغزارة أدب, واجتمع له من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس, ولي أمر إشبيلية بعد أبيه، وله سبع وثلاثون سنة. واتفقت له المحنة الكبرى بخلعه وإخراجه عن ملكه في شهر رجب الكائن في سنة ٤٨٤هـ/ سبتمبر ١٠٩١م؛ فكانت مدة ولايته إلى أن خُلع وأُسر عشرين سنة؛ وبقي في أغمات إلى أن توفي سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م : مجهول: تاريخ الأندلس, ص٢٦٢, وعبدالواحد المراكشي: المعجب, ص٧٦وما بعدها, والمقري: نفح الطيب, ج٤, ص٢١٨.

(٤) هي السيدة الحظية عند المعتمد بن عباد الغالبة عليه اعتماد وهي أم الربيع وتعرف بالسيدة الكبرى وتلقب بالرميكية نسبة لمولاها رميك ابن حجاج ومنه ابتاعها المعتمد في أيام أبيه المعتضد وكان مفرط الميل إليها حتى تلقب بالمعتمد لينتظم اسمه حروف اسمها= =وتوفيت أم الربيع هذه بأغمات قبل المعتمد سيدها لم ترقأ لها عبرة ولا فارقتها حسرة حتى قضت أسفا وهلكت حزنا: (ابن الأبار: الحلة السيراء: ج٢, ص٦٢, وص٦٣).

(٥) الإبرسيم: الحرير الخالص الذي لم يخالطه قطن ولا غيره:(الزبيدي: تاج العروس, ٤, ص٥٤٩).

تلعب في هذا الطين الخاص يوماً أو يومين، حتى ضاقت من اللعب في الطين، فرجعت إلى قصرها مرة أخرى[١].

ولا يخفي أن الإسراف أمر ممقوت, وهو من أسباب عدم الأمانة عند من يقوم بذلك, وهنا أيضاً ضيع المعتمد بن عباد الأمانة المودعة إليه؛ والمتمثلة في أموال المسلمين ـ بيت مال المسلمين ـ بإسراف واضح لا شبهة فيه, وهو أمر يعرض لغضب الله تعالي وسخطه.

المعتمد يتحالف مع النصاري لإسقاط غرناطة:

لما توفي باديس في سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣ م، خلفه في حكم غرناطة حفيده عبد الله بن بُلُقِّين[٢], وفي حكم مالقة حفيده تميم، ولم يمض على وفاته سوى عام، حتى سار المعتمد بن عباد في قواته إلى جيان، أهم قواعد مملكة غرناطة الشمالية واستولى عليها ٤٦٦ هـ /١٠٧٤ م, ولم يبق من مملكة غرناطة سوى العاصمة ورباضها[٣] وعندئذ فكر أمير غرناطة في الاستعانة بالنصارى وتوصل بواسطة المأمون بن ذى النون، إلى أن يعقد مع ألفونسو السادس ملك قشتالة، معاهدة صداقة وتحالف، يتعهد فيها بدفع الجزية, وحدث في نفس الوقت أن ظفر المأمون بن ذى النون بانتزاع قرطبة من ابن عباد ٤٦٧ هـ/١٠٧٥م، فكانت هزيمة المعتمد سبباً في انقشاع الخطر نوعاً عن غرناطة, وفي نفس الوقت خرج عبد الله بن بُلُقِّين بعد ذلك

---

(١) المقري: نفح الطيب, ج١, ص٤٤٠. ودوزي : المسلمون في الأندلس, ج٣, ص٩٣.

(٢) هو عبد الله بن بلقّين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن ابن زيري بن مناد الصّنهاجي, لقبه المظفّر بالله، الناصر لدين الله, ولي بعد جدّه باديس في شوال سنة خمس وستين وأربعمائة, قال الغافقي: وكان قد حاز حظّا وافرا من البلاغة والمعرفة، شاعرا جيّد الشعر، كانت بغرناطة أربعة مصحف بخطّه في نهاية الصّنعة والإتقان, وفي عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة جاز يوسف بن تاشفين البحر لخلع رؤساء الأندلس, وأخذ ما في قصره من كنوز, ووزعها علي قواده, ونقل عبد الله إلى مرّاكش، وسنّه يوم خلع، خمس وثلاثون سنة وسبعة أشهر، فاستقرّ بها هو وأخوه تميم، وحلّ اعتقالهما، ورفّه عنهما، وأجري المرتّب والمساهمة عليهما. وأحسن عبد الله أداء الطاعة، مع لين الكلمة، فقضيت مآربه، وأسعفت رغباته، وخفّ على الدولة، واستراح واستريح منه، ورزق الولد في الخمول، فعاش له ابنان وبنت، جمع لهم المال. فلمّا توفي ترك مالا جمّا, ابن الخطيب: الإحاطة, ج٣, ص٢٨٩وما بعدها

(٣) الربض: هو ما كان حول المدينة من أبنية وغير ذلك: لسان العرب: بن منظور,ج٧, ص١٥٢.

في قواته ومعه سرية من حلفائه النصارى، وأغار على أراضي ابن عباد، وعاث فيها، واستطاع أن يسترد حصن قبرة القريب من جيان[١].

خيانة بن عمار[٢]للمعتمد: لم تغب ظاهرة شرب الخمر عن الأندلس في عصر ملوك الطوائف, ولكن مجلس بن عمار والرشيد بن المعتمد[٣]برز في هذه السيئة جداً, حيث كانت الكأس تذهب بعقولهم في مجلسهم المخصوص كل مذهب, ويتجاذبان أطراف الحديث شعراً بأبيات غالباً ما تكون مدحاً في آل عباد اللخميين, وذلك في قصر الرشيد بن المعتمد, وهم محاطون بسماع الأغاني والطرب[٤], وهذا المشهد في الحقيقة لا يرتسم في الذهن إلا بصورة حانة فيها بعض السكارى والمخبولين.

كيف كان بن عمار سبباً في استعانة المعتمد وبن بلقين بالنصارى؟:

لقد أقبل المعتمد وبن عمار علي خيانة لا تغتفر, حيث فاوضا الأذفونش علي حصار غرناطة وحاكمها عبد الله بن بلقين في سنة ٤٦٦ هـ / ١٠٧٤ م, وعرضا عليه مضاعفة الجزية التي يعطونها له مقابل تنفيذ معاهدة بينهم تقضي بمعاونة ألفونسو لهم مقابل زيادة الجزية إلي خمسين ألف دينار بدلاً من عشرين ألفا بالإضافة إلي ما فيها من الأموال؛ علي أن يأخذوا هم القاعدة, وأخذ بن عمار ببناء سور حول قرطبة مستعينا في ذلك بالجنود النصاري! وبإعطائهم أمولاً طائلة حتي

---

(١) عنان: دولة الإسلام في الأندلس,ج٢, ص٦٣.

(٢) محمد بن عمار بن الحسين بن عمار المهري ذو الوزارتين أبو بكر, أصله من قرية بشلب تعرف بشنبوس ونشأ خاملا ينتجع بشعره ويطوف على ملوك الطوائف, وصحب المعتمد بن عباد من الصبا ونهاه المعتضد أبوه عن صحبته ثم خوفه ففر ابن عمار إلى سر قسطه, ثم لما استقل المعتمد بعد أبيه جاءه ابن عمار مذكرا بمودته فتلقاه بأعظم قبول وصار عنده كجعفر عند الرشيد إلي قتله في النهاية جزاء غدره في شهور سنة ٤٧٩/ ١٠٨٦م: ابن الأبار: الحلة السيراء, ج٢, ص ١٣١وما بعدها, برقم١٣٣,وعبد الواحد المراكشي: المعجب, ص٩٦.

(٣) ـ عبيد الله ابن محمد هو أبو الحسين ابن المعتمد بن عباد الاشبيلي كان ولي عهد أبيه في المملكة فجرى لهم ما جرى في ترجمة والده وحملوه مع أبيه إلى مراكش وذكر الحجازي أنه انقلبت به الأحوال فسجن ثم سرح ثم سجن ولم يزل في توالي نكباته إلى أن= =أراحه أمد وفاته, وكان الرشيد له حظ من العلوم الرياضية مجيدا في صناعة الغناء وكان يخلف أباه في الأعمال وحاله مشتقة من حاله, ولما نقل بنو عباد إلى المغرب أسكن الرشيد منهم بقلعة مهدي وكان هنالك إلى أن توفي في حدود الثلاثين وخمسمائة وقد نيف على السبعين في سنه: (ابن الآبار: الحلة السراء, ج٢, ص٦٨, برقم ١٢١, والصفدي: الوافي بالوفيات,ج١٩, ص٢٧٢, ما بعدها).

(٤) ا بن بسام: الذخيرة, ج٣, ص.٣٨٥.

تم لهم بناء هذا الحصن حول غرناطة, وكان المعتمد يتابع ذلك بنفسه, وكان هناك خائن من قلب المجتمع الغرناطي يسمي: ابن أضحي, يدلهم علي مواضع الضعف في البلدة, حتي ضعفت البلد, واضطر عبد الله بن بلقين إلي مضاعفة الجزية لملك النصاري[١].

ابن عمار يحاول أن يستولي علي مرسيه بواسطة النصاري:

في سنة ٤٧١ هـ/ ١٠٧٨م أغري بن عمار المعتمد للاستيلاء علي مدينة مرسيه[٢], والتي كانت تحت حكم أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر, والذي لم يوفق في إخماد العناصر الناقمة، فكتب بعض هؤلاء إلى المعتمد بن عباد يستدعونه لفتحها, فقرر بن عمار والمعتمد الاستعانة بأمير برشلونة الكونت ريمند ـ رامون برنجار ـ مقابل عشرة آلاف مثقال من الذهب يدفعها له, و في طريق بن عمار إلي رامون نزل ضيفاً علي محمد بن طاهر, فاستبان ضعفه فداخل أعيان مرسيه مخبلاً ومخذلاً, وقدم المعتمد ولده الرشيد، وقدم الكونت ابن أخيه ضماناً للتحالف وحاصرت القوات المتحالفة مدينة مرسيه، ولكن ابن عباد تأخر في أداء المال، واعتقد الكونت أنه قد غرر به، فقبض على ابن عمار وعلى الرشيد، وارتد بقواته عن المدينة[٣].

المعتمد يزوج ابنته لألفونسو:

لما توفي المأمون بن ذي النون وتولي حفيده القادر بن ذي النون, رأي الفونسو أن القادر غير داخل في العهد الذي قطعه لنفسه لأبيه وجده, فأخذ يهاجم أرضي طليطلة ونواحيها, وشعر القادر بأنه عاجز عن مواجهته, فلم يجد سوي الخيانة طريقاً حيث قام بدفع الجزية وعدد من الحصون؛ كل ذلك وألفونسو مستمر في إرهاقه بطلب المال والأراضي, حتي سخط عليه شعبه, وأمام الثورة الهائلة التي

---

(١) عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبان, ص٧٠, ٧١.

(٢) مدينة بالأندلس، وهي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، واتخذت داراً للعمال، وقراراً للقواد ومرسيه على نهر كبير يسقى جميعها كنيل مصر، ولها جامع جليل، وحمامات, وأسواق عامرة، وهي راخية أكثر الدهر، رخيصة الفواكه، كثيرة الشجر والأعناب وأصناف الثمار، وبها معادن فضةٍ غزيرة متصلة المادة؛ وكانت تصنع بها البسط الرفيعة الشريفة, ومنها إلى بلنسية خمس مراحل، ومنها إلى قرطبة عشر مراحل: الحميري: صفة جزيرة الأندلس, ص١٨١.

(٣) ابن الأبار: الحلة السيراء, ج٢, ص١٢٠, ١٢١, و١٢٢.

قام بها أهل طليطلة, فاضطر القادر أن يلوذ بالفرار، وأن يلتمس غوث ألفونسو وعونه على رده إلى عرشه، فأجابه ألفونسو, وأمده بقوة من جنده، وأخضعت المدينة الثائرة، وجلس القادر على عرشها مرة أخرى، تحت ظلال الحراب النصرانية، وذلك في سنة ٤٧٤ هـ/ ١٠٨١ م, وظل الأمر هكذا ألي أن سقطت طليطلة(١).

من خلال ما حدث للقادر بن ذي النون, خاف المعتمد من سطوة ألفونسو فقام بدفع الجزية له عن طريق وزيره بن عمار بالإضافة إلي تزويج ابنته '' زائدة '' من ألفونسو, قد أثار هذا التصرف فضيحة كبيرة في الأندلس، واتهم ابن عباد بالتفريط في عرضه ودينه, ولكن محمد عبد الله عنان ذكر أن ذلك كان من اختلاق روايات نصرانية, وقد ذكر أن التي تزوجت ألفونسو هي زوجة للفتح بن المعتمد الملقب بالمأمون حاكم قرطبة، وحينما هاجم المرابطون المدينة أرسل زوجته وولده وأمواله إلى حصن المدور، ولما قتل المرابطون الفتح بن المعتمد استطاعت زائدة أن تلوذ مع أولادها بالفرار إلي ألفونسو, ولما كانت زائدة على جانب كبير من الجمال وكان الملك النصراني من جهة أخرى مزواجاً، كلفاً بالنساء، فقد انتهز فرصة التجائها إليه واتخذها خليلة ثم تزوجها, ثم بعد ذلك تنصرت هي وحاشيتها, وماتت في ولادة ابن ألفونسو الوحيد '' سانشو' 'ودفنت بدير ساهاجون وذلك في سنة٤٩٠هـ/ ١٠٩٧ م(٢).

إذلال الفونسو لملوك الطوائف بسبب خياناتهم:

لما سقطت طليطلة بيد ألفونسو السادس٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م ذهب حسام الدولة بن رزين(٣) أمير مدينة ''شانت مرية أو شنتمرية''(٤)بنفسه إلي ألفونسو حاملاً هدية

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام, ص١٨١. وابن خلدون: العبر, ج٤, ص٢٠٨, وعنان: دولة الإسلام في الأندلس,ج٢, ص٢٩٥, ٢٩٦.

(٢) عنان: دولة الإسلام في الأندلس, ج٢, ص٣٦٤, وما بعدها.

(٣) هو عبد الملك بن هذيل بن رزين ذو الرياستين حسام الدولة أبو مروان, ولى بعد أبيه الحاجب عز الدولة أبي محمد هذيل مدينة شنت مرية, وكان أول ظهور لهم سنة٤٠١هـ أيام الفتنة في الأندلس, ويعرفون ببني الأصلع وانتماؤهم في هوارة, وكانت وفاته سنة٤٩٦هـ: ابن الأبار: الحلة السيراء, ج٢, ص١١٠.

(٤) مدينة في الأندلس من مدن أكشونبة, وهي أول الحصون التي تعد لبنبلونة, وشنتمرية على معظم البحر الأعظم, وإليها ينسب الأستاذ يوسف بن سليمان الشنتمرى الأعلم ذو التصانيف المشهورة: الحميري: صفة جزيرة الأندلس, ص١١٤.

عظيمة القدر, وكان الملك النصراني يتسلى بقرد, فقال ألفونسو لحسام الدولة ساخراً به: جزيتك علي هديتك بهذا القرد! ولم يشعر الأمير المسلم بأدني غضاضة تجاه هذه الإهانة! فقد كانت الغاية عنده تبرر الوسيلة, حتي ولو كان ذلك علي حساب دينه وكرامته, فقد رأي في هذه الهدية دليل الود من الملك النصراني[١] وهذا منافي للأمانة.

وكان من سخافة عقله يباهي ملوك الأندلس بهذا القرد الذي أهداه له ألفونسو, والأدهى من ذلك أنه ظل يباهي به حتي خلعه المرابطون في الثاني من رجب سنة ٤٩٢هـ/٢٤مايو١٠٩٩م[٢].

وبعد انتهاء موقعة الزلاقة٤٧٩هـ/١٠٨٦م عدل بن رزين عن دفع الجزية إلي ألفونسو غير أن مغامرات السيد الكنبيدور[٣]أخذت تزعج سائر الإمارات الإسلامية خاصة بلنسية , ولما شعر أبو مروان ـ يعني بن رزين ـ

بما يهدد مملكته من الخراب قصد بنفسه إلى معسكر السيد القنبيطور، واتفق معه على أن يتركه في سلام، على أن يؤدي الجزية للملك ألفونسو كما كان الشأن قبل موقعة الزلاّقة، وأن يدفع في الحال إلى السيد بصفته نائباً عن الملك مبلغ عشرة آلاف دينار. وعندئذ رفع السيد معسكره، وغادر أراضي السهلة ـ أي شنتمرية ـ إلى بلنسية, ولكن أحداث الخيانة لم تنتهي عند ذلك, حيث رأي ضعف مدينة بلنسية, ففاوض بيدرو ملك أرجون المسيحي لعونه علي غزو بلنسية نظير مبلغ كبير من المال, ولما وقف السيد القنبيطور علي حقيقة الأمر انقض بقواته على أرض السهلة، وعاث فيها، وانتسف الزروع واستاق الماشية وسبى جموعاً كبيرة, فلما رأي ابن رزين ذلك عاد إلي سابق عهده معه[٤].

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب, ج٣, ص٣١١, ودوزي: المسلمون في الأندلس, ج٣, ص١٢٨.

(٢) ابن عذاري: المصدر السابق ج٣,ص٣١١.

(٣) هو فارس قشتالي، واسمه الأصلي رود يجو أو روي دياث دي بيبار، أما تلقبه " بالسيد" El Cid فهو تحريف لكلمة " السيد " العربية، وقد أطلقها عليه المسلمون الذين كان يخدم بينهم، ويحارب معهم، وأما وصفه بالكمبيادور، El Campeador، فمعناها المحارب الباسل، وقد أطلقت عليه لشجاعته وجرأته وشغفه بالقتال, وقد ولد " السيد " في مدينة, برغش على ما يرجح في سنة ١٠٤٣م م, و ولبث " السيد " يحارب إلى جانب سانشو ملك قشتالة، حتى قتل هذا الملك أمام أسوار سمورة في العام التالي ١٠٧٢ م, فانتقل إلى خدمة أخيه ألفونسو: ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس, ص٩٩, وعبدالله عنان: دولة المسلمون في الأندلس, ج٢, ص٢٣٢,

(١) عنان: دولة الإسلام في الأندلس ج٢, ص٢٥٧, ٢٥٨ .

ثم جاء الدور علي مدينة بلنسية, والتي كان يتنازع الحكم فيها ابنا عبد العزيز بن الناصر بن الحاجب المنصور, وكان هناك فريق ثالث يريد أن ينقض علي بلنسية , وهو فريق القادر بن ذي النون, والذي استعمل الخيانة, حيث قام بحصار المدينة مستعيناً بجيش ألفونسو بقيادة ـ ألفار فاينز ـ والأدهى من ذلك أن القادر أخذ يدفع رواتب الجند القشتاليين حي نفدت خزائنه, وأصبح شبح الإفلاس يطارده, وأخيراً عرض علي جنود النصاري الإقامة في مملكته نظير إقطاعهم أراضي شاسعة يزرعونها, فجلبوا العبيد لزراعة هذه الأراضي, وقاموا بالهجوم علي الأراضي المجاورة يعاونهم في ذلك السفلة وقطاع الطرق حتي أصابهم الثراء الفاحش(١).

وفي سنة ٤٧٥ هـ /١٠٨٢م أرسل ألفونسو رسله إلي المعتمد بن عباد لأداء الجزية التي فرضها عليه وكان رأس ذلك يهودي يدعى ابن شاليب, فلما شاهدا اليهودي المال والسبائك، رفض تسلمها بغلظة، بحجة أنها من عيار زائف, وهدد بأنه إذا لم يقدم له المال من عيار حسن، فسوف تحتل مدائن مملكة إشبيلية، حتى يتم الدفع على الوجه المرغوب. فلما وقف المعتمد على ذلك بعث رجاله فقبضوا على ابن شاليب، ومن معه من الفرسان القشتاليين، وأمر باليهودي فصلب منكوساً, وظهر للمعتمد بن عباد أن يستعين في دفاعهم بسلطان المغرب يوسف بن تاشفين، فقال له بعض أولئك الملوك: نخشى أن يدخل بلاد الأندلس، ويرد العدو، ثم يبسط سلطانه علينا، فقال المعتمد تلك المقالة الخالدة: لأن أرعى الجمال خير من أن أرعى الخنازير! حتي تم استدعاء يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين, وحدثت موقعة الزلاقة المعروفة(٢).

(٢) دوزي: المسلمون في الأندلس, ج٣, ص١٢٨.

(٣) الحميري: صفة جزيرة الأندلس ص٨٤,٨٥, والمقري: نفح الطيب , ج٤, ص٣٩٥, , وأحمد بن خالد الناصري: الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى, ج٢, ص٣٩, , وعنان: دولة الإسلام في الأندلس, ج٢, ص٧٣, ٧٤.

قائمة المصادر والمراجع:

القران الكريم.

ثانياً: المصادر:

١ـ ابن الأبار: (محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي, المتوفي: ٦٥٨هـ) الحلة السيراء: تحقيق: حسين مؤنس, القاهرة, دار المعارف, الطبعة الثانية, ١٩٨٥م.١٢٥٩م:

٢ـ ابن بسام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧ م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس, الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس, الأجزاء الربع والسادس, ط٢, ١٩٨١ , وباقي الأجزاء الثمانية,ط١, أعوام,١٩٨٧, ١٩٨١, و ١٩٧٩م.

٣ـ ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ/ ١١٨٣ م): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس, عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني, مكتبة الخانجي, القاهرة, ط٢, ١٩٥٥م.

٤ـ ابن بلقين: عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري (المتوفي بعد سنة٤٨٣=١٠٩٠م): مذكرات الأمير عبد الله, أو كتاب التبيان, تحقيق: ليفي بروفنسال, , دار المعارف مصر, ولا يوجد رقم طبعة ولا تاريخ نشر.

٥ـ ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤ م): رسائل ابن حزم الأندلسي, تحقيق: إحسان عباس, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت لبنان, ط٢, ١٩٨٧م.

٦ـ الحموي, ياقوت: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان, دار صادر، بيروت, ط٢, ١٩٥٥م, ولا يوجد محقق.

٧ـ الحميري، ابن عبد المنعم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥م): الروض المعطار في خبر الأقطار, تحقيق: إحسان عباس, مؤسسة ناصر للثقافة, بيروت, طبع على مطابع دار السراج,ط٢, ١٩٨٠م. وصفة جزيرة الأندلس, صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار, عنى بنشره: إ. ليفي بروفنسال, دار الجيل، بيروت ,ط٢, ١٩٨٨م.

٨ـ ابن الخطيب: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤ م): الإحاطة في أخبار غرناطة, تحقيق/الدكتور يوسف علي طويل, دار الكتب العلمية،

بيروت, ط١, ٢٠٠٣م, و أعمال الأعلام, حققه ونشره, إ . ليفي بروفنسال, دار المكشوف, لبنان, ط٢, ١٩٥٦م.
٩ـ ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢ م): ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, تحقيق/ إحسان عباس دار صادر, بيروت, الأجزاء , ١, ٢, ٣, ٦, نشر ١٩٠٠م دون تاريخ طبعة, والجزء٤, ط١, ١٩٧١م, والجزء الخامس والسابع,ط١, ١٩٩٤.
١٠ـ ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦ م): العِبَر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر, ضبطه: أ. خليل شحادة , راجعه: د. سهيل زكار, ط١, ١٩٨١م.
١١ـ الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م): سير أعلام النبلاء, تحقيق: محمد أيمن الشبراوي, دار الحديث، القاهرة, ٢٠٠٦م, ودون ذكر رقم الطبعة.
١٢ـ الزَّبيدي: محمّد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس, تحقيق: جماعة من المختصين, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت, أعوام النشر: (١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م).
١٣ـ الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ): الأعلام: بيروت, دار العلم للملايين, ط١٥, مايو ٢٠٠٢ م, ولا يوجد محقق.
١٤ـ ابن سعيد المغربي: أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م): المغرب في حلى المغرب, تحقيق: د. شوقي ضيف, دار المعارف, القاهرة, ط٣, ١٩٥٥م.
١٥ـ عبد الواحد المراكشي: عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين, تحقيق: د. صلاح الدين الهواري, المكتبة العصرية، صيدا, بيروت,ط١, ٢٠٠٦م.
١٦ـ ابن عذاري المراكشي: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت نحو ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م): ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب, المجلد الثاني, تحقيق: بشار عواد معروف, محمود بشار عواد, تونس, دار الغرب الاسلامي, ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

١٧ـ القرطبي: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(٦٧١هـ/١٢٧٣م) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن, تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, دار الكتب المصرية, القاهرة,ط٢, ١٩٦٤م.
١٨ـ الكتبي ابن شاكر: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م): فوات الوفيات, تحقيق: إحسان عباس, دار صادر, بيروت, ط١, ١٩٧٣م.
١٩ـ ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م): لسان العرب, وضع حواشيه: أليازجي وجماعة من اللغويين, دار صادر, بيروت, ط٣, ١٤١٤هـ .
٢٠ـ المقري: : شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب, تحقيق: إحسان عباس, دار صادر, بيروت, ط١, ١٩٦٨م.
٢١ـ النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب, دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة, ط١, ١٩٢٣م. ولا يوجد محقق.
٢٢ـ ٨٩ـ ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان, دار صادر، بيروت, ط٢, ١٩٩٥م, ولا يوجد محقق.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

١ـ أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب, تحقيق جعفر الناصر ومحمد الناصر, دار الكتاب, الراد البيضاء المغرب, ١٩٩٧م.
٢ـ إحسان عباس(دكتور): تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين, دار الثقافة, بيروت, ١٩٦٢م.
٣ـ دوزي(دكتور), رينهارت: المسلمون في الأندلس, ترجمة وتعليق حسن حبشي, القاهرة, الهيئة العامة للتأليف والنشر, ١٩٩٤م.
٤ـ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس, مكتبة الخانجي, القاهرة, ط٤, ١٩٩٧م